قصتنا المعاصرة في ترجمة فرنسية

Anthologie de la Littérature Arabe Contemporaine: 1.Le Roman et la Nouvelle. par Raoul et Laura Makarius. Editions du Seuil, 1964

هوذا الجزء الاول من « مختار الادب العربي الحديث » مترجماً الى اللغة الفرنسية؛ طليعة اجزاء ثلاثة يتوقع ان يتضمن الثاني منها مقتطفات تمثل صفوة مجهودنا في النقد الادبي الطارف ، وان يضم الثالث جنياً من ديوان الشعر خلال المائة الخالية.

وليس بدعاً ان تتوفر المكتبة الفرنسية على نقل بعض من النشاط العربي الى العالم ، ذلك ان التفتح الانساني في الحضارة الفرنسية ما برح موصول الرسالة في تصيد القيم أينما وقعت، حتى يعمم البلدي المحلي ويرد عالمياً . وفرنسا عممت بيراندبلو ، وغبريلا ميسترال ، وجورج سفيريس .

وحسب اللجنة القيمة على هذا الوصال ان تعهد الى العلامة الفذ جاك بيرك في توجيه الروح العام من صنيعها. فان السيد بيرك من اعمق علماء الاجتماع في زماننا ، واوثقهم ادراكاً لقضايا العالم العربي ، وأرهفهم حساً بخوالجه ، واوغلهم التماساً لحقيقة الحياة النامية فيه . وشأنه في تحري الحياة العربية شأن المتتبع لناموس الوجود من جذوره الانسانية الاصيلة الى موسمه المنتظر ؛ وبتقصيه التفاعل الكياني ، يتقصى نمو الحياة واستمرار بقائها . ومن ابرز ما تلمحه لديه ، ان العقل النافذ قد شابه لون من حنوة وانعطاف كأنما تاريخ الشعوب المتماثلة للعافية معضلة وجدانية من معضلاته ، يرى فيها التحول الخصيب الذي لا يراه في المجتمعات الشائخة والحضارات المثقلة بكمالاتها .

فقد مهر الاستاذ بيرك هذا المجلد بمقدمة مكثفة هي العلوة الساطعة في الكتاب . اذ طفق يتقرى حقيقة الشخصية العربية في واقعها المعاصر ، بازدواجيتها وانكسارها وتمزقها ؛ تشدها ، حتى التعالي ، عراقة التراث وقيمه الباقية من جانب ، ويحدوها التوق الى مجاراة التقدم البشري من جانب؛ فتبحث عن ذاتها الراسخة في الغيبية ديناً ولغة ، وتلحق بظلها الساعي الى المثال الجديد . من هنا يضحي الكلام على الاساليب واللغة بمثابة الكلام على ازمة الوجود العربي برمته . وبعد : أفليست اللغة « دار المرء » وموطن التقاء الفطري الخام والرافه الثقيف ، والتقاء الحميم الانساني بالحميم الالهي ؟ هكذا يغدو انتصار الاساليب واللغة انتصاراً اتنولوجياً حضارياً ، بحيث تبقى الذات العربية محتفظة باصالتها ، متجددة من داخل، ريثما يدرك الشوط الابعد. وليس أدل على هذا الصراع من نفثات الادباء انفسهم . فيستنفدها السيد بيرك صحافة ، ونقداً ، وشعراً ، ومسرحاً ، وقصصاً ، ومقالة ؛ وفي هذا العطاء الادبي يبصر بواقع الاشواق ، والتحرق ، والقلق ، والانتظار ، واليأس ، والتعالي، وقد جمعت كلية المأساة في مداد الادباء ، من تونس الى العراق . يحيط على دقة ، ويجمل على عمق ؛ يلتقط الحياة وهي في سهمها ماضية ، وتمثل الفكر لناظريه مثول الكائنات تحيا بحياة .

اما المدخل الذي مهد به المترجم راوول مكاريوس لنقوله فلا يعدو ان يكون ملمحاً للعوامل العامة التي وجهت الاقلام تبياناً لأدوار الادب. ثم اودعه اعتذاراً تقليدياً عما تخلف عن ذكره . وهذا ما لا ينجو منه مختار . ثم اوضح جانباً من المصاعب التي صادفها في نقل البوارق من طبيعة التخيل العربي الى ما يطاوع الفرنسية في معادلات المجاز والصيغ.

وجعل المختار القصصي على بابين : باب المؤسسين، على حد تسميته ، فاصطفى له ثمانية من لبنان ، وتسعة من مصر ؛ وباب « النهضة الجديدة » ، فرع مضمونه تبعاً لما يلي: من مصر ١٢ ، العراق ٩ ، سوريا ٢ ، فلسطين ١ ، لبنان ٥ ، السودان

١ ، تونس ٥ ، الجزائر ١ ، مراكش ١ . وأغلق الكتاب على خاتمة في ثماني قطع دعاها « بحوثا » .

وفيما يوضح المقدم ان الغرض من هذا المعرض القصصي انما هو التقاط الحياة كما يتمثلها العرب ، والطواف معهم حول قضاياهم ، يحدد المترجم ان الغاية التي اليها هدف انما هي نظرة مجملة تلقى على الادب القصصي العربي ، في القرن الحاضر . وفي وسعك الاغضاء عن التفاوت في تحديد هذا الغرض، يحملك هذا المختار الادبي سبيلاً الى خلاصة فلسفة اجتماعية .

ثم ان لهذا الصنيع من الفضل ما يتعذر الآن تحديده : فالصنيع حادث بعد ، والنتائج فوق ان تقدر وتحصر .

غير ان لنا على هذا المعرض الادبي مآخذ نرتجي بها تفادي الخلل ، فمنها :

اولاً ، لا نرى مسوغاً لتسمية الفئة الاولى بطبقة « المؤسسين » : فالمرحلة التأسيسية ترقى الى فرنسيس المراش (متوفى ١٨٧٣) وفارس الشدياق (١٨٨٧) وابراهيم اليازجي (١٩٠٦) وغيرهم .

ثانياً ، يحمل المترجم في هذه الفئة نفسها بعض من لا يمثلون الفن القصصي حقاً ، ويغفل جرجي زيدان ، وطانيوس عبده ، وكرم ملحم كرم من بعد ؛ وكأن عمر فاخوري وسعيد تقي الدين لا يدخلان في حساب !

ثالثاً، انه اقحم في رعيل واحد من ليس يجمعهم سبب : فأنى يقع يعقوب صروف ، وتوفيق يوسف عواد ، في فقرة واحدة وبينهما من التفاوت في النوع ، والقضايا ، والنمط ما يحول دون العثور على قدر جامع مشترك !

رابعاً ، ليس في التقسيم المعتمد وفقاً للاقطار العربية ما يسعف القارىء، الاجنبي والعربي بالسواء، على الاحاطة الشاملة بالتيارات التي نحاها الفن القصصي ؛ ولكان الأولى ان يساق الترتيب تبعاً لهذه التيارات ، في دواعي تولدها وتطورها مع الزمن . وان صح ان لكل قطر دواعيه ودوافعه، فان ثمة وضعاً وجودياً وكيانياً متقارب الفواعل .

خامساً ، لم يصطف من الانتاج اجوده ولا أبينه تمثيلا للغرض احياناً ، كأن يتخذ مقطعاً لتوفيق الحكيم من كتابه « يوميات نائب في الارياف » ، وللكاتب حلقات من القصص القصير الرائع ؛ او لا يختار لطه حسين غير مقطع «ام تمام» من « المعذبين في الارض » ، وينسى اقصوصة مارون عبود « حجارة الضيعة » .

سادساً، ثم ان الترجمة ضرب من تكريس الادب المترجم، وفيه من المسؤولية الخلقية ما يحمل المترجم على اختيار غربال ادق ليكون المنقول الى الفرنسية تمثيلا على اعلى ما ادركه الفن القصصي عندنا . والا جاء الرسم مخالفاً للأصل ، ومني القسطاس بالتواء .

سابعاً ، يتبين للقارىء ان الترجمة ليست على مستوى واحد من الأمانة، والأناقة، وطيب النغم. وفيما هي سليمة على الجملة في القصص الواقعي، تراها وقد اعتورها بعض الحيد والخلل حيثما يخصب النص العربي بالمجاز . فتقع على ثلاثة اخطاء ، مثلا ، في فقرة واحدة (ص ٦٠) مداها اسطر خمسة .

وبعد ، فانه لجميل عظيم توليناه اللجنة المشرفة فتنقل للعالم من ادبنا الحديث مقتطفات . غير ان في انتاجنا من الغرر فوق ما رسموا . فانهم عدد من المبرزين ، وللذين اختاروا لهم عطاء اجود من هذا العطاء. ولكنا نؤثر ان نخرج الى ادب الدنيا، وعلينا وشاح اروع من بعض الخلق الواهن الذي تخلل هذا المختار .

لا ! فعذر جريدة « الموند » الفرنسية ، تثني على هذا الصنيع من علوها الركين . وعذر القيمين على هذا الصنيع ، فانهم محضوا الانتاج العربي اخلاصاً خيراً ، ان جاء ما اعطوه دون ما يصبو اليه .

انطون غطاس كرم